سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس التاسع عشر

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس التَّاسع عشر

وَقَوْلِهِ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[النساء]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨]، وَقَوْلِهِ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[ص].

وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرَّحمٰن].

وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١٦٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة].

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، وأشهد أن لا إلٰه الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا إلىٰ يوم الدين .

أما بعد..

فهٰذه صلة للكلام علىٰ ما يُثبت لله جل وعلا من الصفات -صفات الذات- يعني الصفات الذاتية الملازمة لله جل وعلا والتي لا تنفك عنه ﷻ، والصفات الفعلية التي يتَّصف بها في حال دون حال بمشيئته وقدرته، وهٰذه الآيات فيها إثبات جملة من هٰذه الصفات، ففيها إثبات صفة العفو لله جل وعلا وإثبات صفة المغفرة لله جل وعلا، وإثبات صفة العزة لله جل وعلا.

وفيها أن الله جل وعلا يتسمىٰ بالأسماء الحسنىٰ المتضمنة للعَلَميَّة وللصفات كما قال جل وعلا: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ وقوله: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ قال: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾وهٰذا كثير من أن الله جل وعلا يعرِّف عباده بصفاته وبأسمائه الحسنىٰ بما يُخاطِبهم به من الأوامر والنواهي.

وفي هٰذه الآيات إثبات صفة العزة لله جل وعلا، وأهل السنة والجماعة بابهم في هٰذا باب واحد يثبتون هذه جميعا لله جل وعلا، فما أثبته الله جل وعلا لنفسه من الصفات أثبتوه، وما نفاه نفوه، وما سمَّىٰ نفسه به من الأسماء الحسنىٰ سموه به جل وعلا، وما نفاه عن نفسه نفوه.

فالباب عندهم باب واحد في الصفات لا يفرِّقون بين صفة وصفة، ولا بين نص ونص؛ لأن الباب باب واحد في ذلك جميعا؛ لأن الآية أو الحديث إذا ثبت أنه من آيات الصفات أو من أحاديث الصفات فإنهم يُجرون عليه قاعدة الإثبات لما تضمَّنه من الأسماء والصفات والأفعال .. [1]

---

(١) انتهىٰ الشريط العاشر.

وأهل السنة والجماعة بابهم في هٰذا باب واحد يثبتون هذه جميعًا لله جل وعلا، فما أثبته الله جل وعلا لنفسه من الصفات أثبتوه، وما نفاه نفوه، وما سمَّىٰ نفسه به من الأسماء الحسنىٰ سمَّوه به جل وعلا، وما نفاه عن نفسه نفوه. فالباب عندهم باب واحد في الصفات؛ لا يفرِّقون في ذلك بين صفة وصفة، ولا بين نص ونص؛ لأن الباب باب واحد في ذلك جميعا، لأن الآية أو الحديث إذا ثبت أنه من آيات الصِّفات أو من أحاديث الصفات فإنهم يُجْرُون عليه قاعدة الإثبات لما تضمَّنه من الأسماء والصفات والأفعال .

في الآية الأولىٰ فيها **إثبات صفة العفو** لله جل وعلا قال سبحانه في سورة النساء: ﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ سمىٰ الله جل وعلا هنا نفسه بأنه العفو قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾ ومن أسماء الله الحسنىٰ (العفو) ، وكذلك قال: ﴿قَدِيرًا ﴾ ومن أسماء الله جل وعلا الحسنىٰ (القدير) فهو سبحانه قدير وعفو وعفوه جل وعلا لا عن ضعف ولكن عن قدرة وعزة وعظمة وجلال .

وقوله هنا: ﴿ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ ﴾ يعني أن لا تؤاخذوا من أتىٰ بالسُّوء في حقِّكم؛ أن لا تؤاخذوه بذلك بل تمحوا ذلك ولا ترتِّبوا أثر السوء الذي أصابكم علىٰ من أتىٰ به؛ بل تعفون عن ذلك ولا تعاقبوا من أتىٰ به، وهذه هي صفة العفو؛ لأن العفو معناه **(عدم المؤاخذة بالفعل)**، وهٰذا إنما يكون لمن يملك المؤاخذة، فالعفو صفة من صفات الجمال لله جل وعلا .

ويكون العفو كمالا إذا كان عن غير عجز، إذا كان العفو عن قدرة وعن استطاعة في إنفاذ العقوبة كان العفو كمالًا؛ لأنه يكون عن عزة، وقد يعفو الضَّعيف فيكون عفوه عن ضعفٍ لا عن قدرة، والله جل وعلا له من الصفات العلىٰ وله من الأسماء الحسنىٰ فله صفة العفو، وهو أنه لا يؤاخذ المُذنب بجريرته علىٰ ما دلَّت عليه النصوص من قُيود وشروط في ذلك، ولا يؤاخذه بذلك؛ بل يمحو ذلك عنه ولا يعاقبه لعفوه عنه جل وعلا، وذلك لقدرته ولهذا قال هنا: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾ يجمع بين العفو وقدرته علىٰ إنفاذ العقوبة .

وهٰذا بخلاف صفة المغفرة وصفة قبول التوبة ، فإن الله جل وعلا من أسمائه العفو، ومن أسمائه الغافر، والغفّار، والغفور، ومن أسمائه جل وعلا التواب ، وهٰذه تختلف ليس معناها واحدا ، بخلاف من قال: إن معنىٰ العفو والغفور معناهما واحد، هذا ليس بصحيح؛ بل الجهة تختلف، والمعنىٰ فيه نوع اختلاف مع أن بينهما اشتراكا.

فكما ذكرت لك ، العفو: عدم المؤاخذة بالجريرة، عدم المؤاخذة بالسيئة. يسيء وسيئته توجب العقوبة فإذا لم يؤاخَذ صار عدم مؤاخذته بذلك عفوًا.

وأما المغفرة فهي (ستر الذنوب)، أو (ستر أثر الذنوب)، وهذا جهته أخرىٰ غير تلك، لأن تلك فيها ترك المعاقبة علىٰ الفعل، وهذا ستر دون تعرض للعقوبة.

والتواب هو (الذي يقبل التوبة عن عباده) ومعنىٰ ذلك أنه يمحو الذنب ولا يؤاخذ بالسيئات إذا تاب العبد وأتىٰ بالأسباب التي تمحو عنه السيئات .

فإذن هذه ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنىٰ لكل اسم دلالته غير ما يدل عليه الاسم الآخر.

هنا في هذه الآية قال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ يعني لا يؤاخذ العباد بجرائرهم ولا يوقع العقوبة بهم علىٰ ما فعلوا إذا شاء ذلك وذلك لكمال عفوه وكمال قدرته سبحانه، ولولا عفوه جل وعلا لفسدت الأرض ولهلك الناس؛ لأن العباد ما من لحظة فيها إلا وهم يستحقون عليها العقوبة ، لأن الشرك أكثر من الإيمان وأهل الإشراك أكثر من أهل الإيمان، والأرض من أزمان طويلة منذ أن تنسخ العلم وفترته قبل رسالة نوح عليه السلام فقد عمَّ فيها الشرك وعمَّ فيها الكفر حتىٰ أتىٰ نوح عليه السلام وأرسله الله جل وعلا، فطهَّر الله جل وعلا الأرض من الكافرين استجابة لدعاء نوح ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾[نوح]، فطهر الله جل وعلا الأرض بالتوحيد، ثم عاد بعد ذلك الشرك، والشرك أكثر في الأرض ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ﴾ جل وعلا ﴿ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[فاطر:٤٥] وهذا جاء في آيات في سورة النحل وفي سورة فاطر.

ولهذا متعلَّق العفو عند أهل العلم هو الذنوب، فإن الذنوب موجبة للعقوبة كما قال جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورىٰ]، يعني لا يأتيكم بالمصائب التي هي بسبب ذنوبكم وعدمُ الإتيان هو بسبب العفو.

وقال جل وعلا: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فالعبد إذا عفا وصفح عن المذنب الذي أذنب في حقِّه، فإن الله جل وعلا يغفر له، وهذه نزلت في امتناع أبي بكر من النفقة علىٰ قريبه مصطح، ونزل فيها هذه الآية وعفا بعد ذلك أبو بكر عن مصطح وذلك رغبة فيما وعد الله جل وعلا به في هذه الآية.

قال: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ **وغفور**: هذا مبالغة للكثرة يعني كثير المغفرة؛ لأن غفور فعيل من غافر، وغافر اسم فاعل المغفرة والمغفرة (ستر الذنب) فلا يفضح الله جل وعلا العبد بذنوبه ولا يخزيه بل يغفر له ذلك ويستره إذا طلب المغفرة، وإذا كان مع طلب المغفرة، مع طلب الستر، إذا كان معه توبة وإنابة إلىٰ الله جل وعلا مُحِيَت تلك السيئات ، فيكون سترُها بمعنىٰ محوها أن توجد في صحائف أعماله، وهذا كما قال جل وعلا: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[طه]؛ بل قد يبدِّل الله جل وعلا بالتوبة السيئات حسنات كما قال جل وعلا: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الفرقان].

من المعلوم أن عدم المؤاخذة وعدم العقوبة هٰذا يُشترط له الإسلام، فإنَّ المشرك ليس بداخل في أثر هٰذا الاسم في الآخرة، ويدخل في أثره في الدنيا؛ لأن الله لا يعاجله بالعقوبة في الدنيا، قد يكون المشرك يشرك ثم يموت ولم ير عقابه، وقد مثل النبي ﷺ المؤمن بخامة الزرع التي تتكفؤها الرياح مرة هاهنا ومرة هنا والكافر يأتيه الموت مرة واحدة فيكسره عن ذلك ، يعني أن العفو أثره في المسلم، وأما المشرك فليس من أهل العفو في الآخرة – يعني جنس المشرك لا المشرك المعين – وأما في الدنيا فإن العفو كما ذكرت لك وسع أهل الأرض جميعًا ، ولو لم يعف الله جل وعلا عنهم لعاجلهم بالعقوبة.

الآية الثالثة فيها إثبات صفة العزة لله جل وعلا، فقال سبحانه مخبرا عن قول إبليس: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ

﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ وصفة العزة لله جل وعلا ثابتة، وذِكر شيخ الإسلام هذه الآية التي فيها ذكر صفة العزة بعد الآية التي فيه المغفرة والآية التي فيها العفو؛ ذلك لأن عفو الله جل وعلا ومغفرته عن عزة، وهذا كمال بعد كمال، فإن صفات الكمال لله جل وعلا منها صفة العزة، منها صفة المغفرة، منها صفة العفو، والعفو كما ذكرت لك إن كان عن عزة يعني عن قدرة علىٰ إنفاذ الوعيد، عن قدرة علىٰ إيقاع العقوبة، كان عفوا علىٰ كمال، وأما إذا كان عجز وعدم عزة فليس بكمال؛ بل هو عن ضعف، وإلا فقد سبق أن ذكر شيخ الإسلام كما تعلمون ذكر الآيات التي فيها اسم الله جل وعلا العزيز، وقدمنا لك أن **العزيز** من أسماء الله جل وعلا الحسنىٰ، وهو المتصف بالعزة ﷻ والعز في صفة الله جل وعلا له ثلاثة معاني، والعزيز له ثلاث معان ذكرناها لكم فيما سبق يجمعها قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ:

وهو العزيز فلن يرام جنابه ... أنىٰ يُرام جنابُ ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم ... يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفهم ... فالعز حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه ... .

كملت له هذه الثلاث معاني:

فالأول من معاني العزيز: الذي لا يرام جنابه، عزيز ممتنع لا يرام جنابه، لا يصل أحد إلىٰ ضره فيضره ولا يستطيع أحد أن يسلبه شيئا أو أن يُنقص من صفته أو من فعله أو من ملكه شيئا؛ بل هو جل وعلا الممتنع **الذي لا يرام جناه**.

والثاني: أنه العزيز بمعنىٰ القاهر الغلاب عزيز يقهر غيره، عزيز يغلب غيره لا يستطيع أحد أن يغالبه أو أن يقهره بل هو جل وعلا لتمام قدرته وقهره وجبروته وعظمته هو الذي يقهر ولا يقهر وهو الذي يغلب ولا يغلب ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾[المجادلة:٢١].

والثالث: أن العزة بمعنىٰ القوة.

وهي التي اجتمعت هٰذه الثلاث معاني اجتمعت لله جل وعلا.

فإذن قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ فيها إثبات صفة العزة لله جل وعلا علىٰ نحو ما أوضحناه مختصرا.

هٰذا قول أهل السنة جميعا يثبتون هذه الصفات التي يتصف الله جل وعلا بها، والعزة صفة ذاتية لم يزل الله جل وعلا عزيزا، وهو جل وعلا علىٰ ما كان عليه من العزة، العزة وصف ذاتي له جل وعلا لا ينفك عنه، وأما العفو والمغفرة فهي صفات فعل، صفات اختيارية إن شاء عفا وإن شاء لم يعفُ، إن شاء غفر وإن شاء لم يغفر، وعلىٰ ذلك تكون من الصِّفات الاختيارية التي هي متعلِّقة بمشيئة الله جل وعلا وقدرته.

أما المبتدعة فإنهم علىٰ طريقتهم في ذلك:

فأما أهل الاعتزال فإنهم يفسرون العفو ويفسرون المغفرة وغير ذلك من صفات الفعل يفسرونها بأثرها.

والأشاعرة والماتريدية ونحوهم يؤولونها، فيجعلون المغفرة إرادة كذا، ويجعلون العفو إرادة كذا،

فيرجعون هذه الصفات إلىٰ الصفات السبع التي ثبتت عندهم بالعقل.

وهذا علىٰ نظائره مما سبق أن مر معنا مرارا في ذلك من أن من طريقة المعتزلة في مثل هذه الصفات، وطريقة الأشاعرة في التأويل.

في قوله جل وعلا: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ فيها أن صفات الله جل وعلا يجوز القسم بها، وأن صفاته جل وعلا منه ﷻ.

نعم..

ما في شك، لأن إبليس يعرف صفات الله جل وعلا، إبليس يثبت الصفات، وأما بعض هذه الأمة هو ينفي الصفات عن الله جل وعلا، إبليس كفر لا عن معرفة بالله بل هو عالم بالله، عارف به جل وعلا ولكن كفر إباء واستكبارا قال: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾[البقرة:٣٤]، وإلا هو عالم، ولهذا قال جل وعلا مخبرا عن قيله بأنه أقسم بصفة العزة لله جل وعلا قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾، وهذا فيه أن القسم بالصفات جائز، لا بأس، الصفات يُقسم بها إذ القسم بالله جل وعلا وبأسمائه وبصفاته، فتقسم باسم الله العلي، باسم الله الحكيم والعلي والحكيم والخبير والقدير والمقيت والحسيب، وتقسم بصفات الله جل وعلا أيضا، ورحمة الله تقصد رحمة الله جل وعلا التي هي صفته، وعزة الله، وكلام الله ونحو ذلك، كل هذا جائز لأنه قسم بما ليس بمخلوق.

وأما الذي يمتنع فهو القسم بالمخلوقين، فالقسم يكون بالله جل وعلا وبأسمائه وصفاته والبحث معروف في باب الأيمان من كتب الفقه.

نعم

كذلك الصفات الفعلية، الباب واحد؛ لكن إذا كانت الصفة محتملة لشيئين مثل الرحمة (ورحمة الله) سواء كانت فعلية أو غيرها مثل (ورحمة الله) الرحمة قد تكون صفة لله جل وعلا وقد تطلق الرحمة ويراد بها الأثر كما قال جل وعلا: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾[الروم:٥٠]؛ يعني المطر، والجنة قال فيها الله جل وعلا في الحديث القدسي: «أنت رحمتي» يعني الرحمة المخلوقة، وقال: «إن لله مائة رحمة يرحم بها عباده أمسك تسعة وتسعين وأرسل واحدة بها يتراحم الناس» يعني هٰذه الرحمة التي يتراحم بها الناس هي الرحمة المخلوقة.

فإذن هذه تنقسم، وإذا كانت تنقسم فلا يجوز أن يقسِم إلا بنية أنه يقسم بصفة الله جل وعلا، هذا معروف وله نظائر مثل (وأمانة الله) وأمثال ذلك.

فإذن إذا كانت الصفة لا تنقسم فهذا واضح.

إذا كانت تنقسم ثم خلاف بين العلماء هل يعتبر قسما مطلقا باعتبار أن الأصل أنها صفة أم يعتبر قسما بالنية فيكون مجراه مجرىٰ الكنايات؟

والصواب في ذلك أنه يعتبر قسما إذا كان القسم بها شائعا، وأما إذا كان غير شائع فلا بد أن يأتي بالنية حتىٰ يظهر الفرق بين مراده للقسم هل هو قسم بالصفة أم قسم بأثر الصفة يعني الأثر المخلوق.

بعد هذه الآيات ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ آيات كثيرة فيها بيان طريقة أهل السنة والجماعة في

إثبات الصفات، ففي قوله جل وعلا: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ وفي قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾، وفي قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، وفي قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ كل هٰذه فيها بيان طريقة أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات، وهي أنهم يثبتون صفات الله جل وعلا إثباتًا مفصلا، وينفون نفيا مجملا، فقاعدة أهل السنة والجماعة في الصفات أنَّ الإثبات يكون مفصلا والنفي يكون مجملا .

ولهذا في النفي قال: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ وفي النفي قال جل وعلا: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ وفي النفي قال جل وعلا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ وفي النفي قال جل وعلا: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ وفي الإثبات قال جل وعلا: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ الذي هو الإثبات المفصل ، وفيه قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشُّورىٰ] نفىٰ مجملا ثم أثبت مفصلا.

وهذه هي قاعدة أهل السنة والجماعة أوضحها بهذه الجملة الكثيرة من الآيات.

وهذا مبني علىٰ أصل علىٰ قاعدة ، وهي أن النفي المحض ليس بكمال؛ بل الكمال هو الإثبات المفصل، والله جل وعلا يوصف بصفات الكمال، لا يوصف بصفات النقص أو يوصف بصفات ليست بالكمال تحتمل النقص، بل يوصف جل وعلا بصفات كمال لأنه جل وعلا هو الحق وأسماؤه حق وصفاته حق، فله من ذلك الكمال المطلق الذي لا تشوبه شائبة النقص بوجه من الوجوه، وإذا كان كذلك فإن الله جل وعلا يوصف بصفات الكمال وصفات الكمال، إنما تكون بالتفصيل في الإثبات ، ولهذا في القرآن التفصيل كثير والنفي قليل، الأكثر الإثبات المفصّل قال جل وعلا: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[يونس]، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[النساء]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾[النساء]، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[النساء]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾[النساء]، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾[البقرة]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾[البروج]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾[الفاتحة]، ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر:٢٣]، في آيات كثيرة ، الأصل في القرآن في الصفات الإثبات ، وهو الكثرة الكاثرة وأما النفي فهو قليل ، والنفي كما ذكرت لكم في القاعدة أنه ليس بكمال ، ومتىٰ يكون النفي كمالا ؟

يكون النفي كمالا إذا كان المراد بالنفي إثبات كمال الضد، إذا كان المراد بالنفي إثبات كمال الضد فهو كمال، وإذا كان المراد بالنفي النفي المحض وليس في مراد النافي إثبات ضد ذلك فإنه يكون نقصًا ، قد تقول مثلا: (فلان لا يظلم أحدا) أو تقول: (لا يقاتل أحدا) نفيت عنه ذلك لعجزه، فتنفي عنه هذه الصفة قد يكون لعجزه ، فالنفي لا يكون دائما كمالا، وقد يكون كمالا إذا كان المراد من النفي إثبات كمال ضد الصفة، ولهذا قال الشاعر في وصف بعض القبائل قال:

قبيّلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

لا يغدرون لأجل - هٰذا في الجاهلية -لأجل أنهم عجزة لا يستطيعون أن يغدروا، كذلك (لا يظلمون الناس حبة خردل) لأنهم عجزة أن يظلموا الناس، والكمال عند أهل الجاهلية (ومن لا يظلم الناس يظلم) الكمال عندهم:

ألا لا يجهلـــن أحـــد علينـــا فنجهـــل فـــوق جهـــل الجاهلينـــا

ولهٰذا ذمهم بنفي وسلب الصفات هٰذه عنهم، وهٰذا النفي قد يظهر لك أنه كمال (لا يغدرون بذمة لكن هو في الحقيقة أراد ذمهم بذلك لعجزهم.

فإذن صفات الله جل وعلا المراد وطريقة أهل السنة والجماعة فيها أن تثبت بتفصيل وأما النفي يكون مجملا، وإذا جاء النفي في الكتاب أو في السنة فكما ذكرت لك يراد به إثبات كمال الضد، قال جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[البقرة:٢٥٥] فنفىٰ جل وعلا عنه نفسه أن تأخذ السنة -أي الغفلة والنعاس- وأن يأخذه النوم، هل المراد نفي هٰذه الصفات بالذات؟

لا، المراد أنه جل وعلا لكمال قيوميته ولكمال حياته فإنه لا يعتري حياته الكاملة ولا قيوميته الكاملة نقص ولا شائبة نقص بوجه من الوجوه، ولذلك نفىٰ.

فيكون المراد بالنفي تقرير وتأكيد إثبات كمال الحياة وكمال القيومية قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ وذلك لكمال حياته ولكمال قيوميته.

فيكون المراد هنا تقرير كمال الحياة وكمال القيومية.

كذلك في قوله: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾[الكهف]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾[فصلت]، المراد منه النفي الذي فيه إثبات كمال العدل لله جل وعلا، فإن الله جل وعلا موصوف بكمال العدل، وبعدله جل وعلا قامت السَّمٰوات والأرض، أمر به في سمائه كونا وأمر به في أرضه كونا وشرعا جل وعلا، فما يخلقه مبني علىٰ العدل وما يقدره مبني علىٰ العدل، كذلك أمر في الشرع بالعدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[النحل:٩٠].

كذلك قال جل وعلا: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾[الإخلاص] وقال: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[مريم] وذلك لكماله في أسمائه الحسنىٰ وكماله في صفاته العلا، فمن كماله جل وعلا في ذلك وتوحده بذلك أن لا يشركه أحد في أسمائه علىٰ وجه الكمال ولا في صفاته علىٰ وجه الكمال ولا فيما يستحقُّه جل وعلا.

كذلك قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾[فاطر] كما ذكرتُ لكم فيما سلف أن النفي هنا نفىٰ الله عن نفسه العجز والعجز يكون بسبب عدم العلم أو بسبب عدم القدرة، ولهٰذا علل بعد هٰذا النفي بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ فلا يأخذه جل وعلا العجز ولا يعجزه شيء في السَّمٰوات ولا في الأرض ذلك لكمال علمه ولكمال قدرته جل وعلا.

وهٰذا باب واسع في أن طريقة أهل السنة والجماعة الإثبات المفصل والنفي المجمل.

المقصود شرعا يعني في الكتاب بما أنزله الله جل وعلا علىٰ رسله، أما الملائكة ومن في السماء فلا

تكليف؛ لأنهم مأمورون ونافذ في ذلك، أمره جل وعلا نافذ فيهم كونا غير مكلفين باعتبار أنهم غير مخاطبين بما أنزل الله جل وعلا علىٰ رسله.

في خلاف أحدثه بعض أهل العلم هل النبي ﷺ مبعوث إلىٰ الملائكة أم لا؟ ليس هٰذا موضعه محله معروف في موضعه.

قال هنا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم] هٰذا فيه الإنكار؛ يعني: لا أحد سمي لله جل وعلا، والسمي هو المثيل والنظير والشبيه، مثل الند، ومثله قوله جل وعلا ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل:٦٠]، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[الروم:٢٧]، يعني وله النعت والوصف والاسم الأعلىٰ وأما خلقه فلهم الأرذل من ذلك أو ما يناسب ذاتهم مما فيه درجات.

وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص] وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢]. يعني نظراء وشبهاء، وأمثالا تجعلونها موازية لله جل وعلا ومماثلة فيما يستحقه جل وعلا.

هٰذه الآيات ظاهرة في الدلالة علىٰ ما ذكرنا، والمبتدعة لهم في ذلك طريقة وهي أن الأصل عندهم أن النفي يكون مفصلا والإثبات يكون مجملا.

النفي عندهم مفصَّل إذا أخذت كتاب من كتب المعتزلة، أو كتاب من كتب المتكلمين، أو كتاب من كتب الأشاعرة، فتجد عندهم النفي المفصل، يقولون: ليس بجوهر، ولا عرض، ولا جسم، ولا ذي جوارح، ولا دم، ولا أعضاء، ولا هو داخل العالم، ولا خارجه، ولا هو حديث، ولا هو غائب، ولا هو مركب.. ولا إلىٰ آخره، يأتي لك بصفحة فيها لا، لا، لا، كلها نفي، فيتعرفون ويعلمون ما يستحقّه جل وعلا بالنفي؛ لأن الأصل عندهم أن الإثبات فيه التشبيه والتمثيل، فلهٰذا يلجؤون إلىٰ طريقة النفي هٰذه، هٰذه الطريقة للمعتزلة ولأهل الكلام ولمتكلمي الأشعرية، وبعض الأشعرية يثبت إثباتا مفصلا علىٰ حدِّ ما عندهم.

(المعطلة) هٰذا اسم هو يشمل كل من عطل صفة أو صفات قلت أو كثرت، فالجهمية معطلة والمعتزلة معطلة والماتريدية معطلة والكلابية معطلة والأشاعرة معطلة وأهل الكلام معطلة، فإذا قيل: المعطلة فيعنىٰ بها الجميع، يعنىٰ بها هؤلاء جميعا، وإذا قيل المشبهة يُعنىٰ بها من مثل الله جل وعلا ببعض خلقه، فيستعمل لفظ المعطلة إذا أريد جهة تعطيل الله جل وعلا عن صفاته، وأما إذا تكلم بالتفصيل..

الأشاعرة درجات، منهم معتزلة، يعني يثبتون وينفون كما ينفي المعتزلة، لكن في الجنس معلوم أن أقرب تلك الفرق إلىٰ أهل السنة هم الأشاعرة هم أقرب الفرق إلىٰ السنة مع ما عندهم، يعني أقرب مع بعد المسافة، يعني لو كان بيننا وبين أولئك مثلا مسيرة أيش؟ كذا وكذا من المسافات فهم الأشاعرة أقرب من غيرهم، لأن الأشاعرة يخالفوننا في الصفات ويخالفوننا في الإيمان ويخالفوننا في القدر ويخالفوننا في بعض مسائل الإمامة، في بعض مسائلها لا جميع المسائل، وعندهم في هٰذه الأمور من مخالفة السنة والبدع ما يوجب خروجهم عن مسمىٰ أهل السنة والجماعة، فهم من جملة الفرق الضالة التي قال فيها النبي ﷺ: «وستفترق هٰذه الأمة علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة».

إذا تبيَّن لك ذلك، فأهل البدع فهموا من النفي في النصوص أنَّ النفي هو المقصود، واستدلوا علىٰ ذلك بتقديمه، قال جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ].

والتقديم يدل علىٰ الاهتمام، فلما قدم النفي دلَّ علىٰ أن النفي أهم من الإثبات، قالوا: ولهٰذا يقدم النفي فيقال ليس بكذا وليس بكذا وليس بكذا وليس بكذا وبعد ذلك إذا جاء الإثبات قالوا: وله العلم والحياة والقدرة، مثل ما عند المعتزلة، أو له الصفات السبع مثل ما عند الأشاعرة، أو نحو ذلك طريقة أهل الكلام، وهٰذا ليس بصحيح بل هو باطل، والنفي ليس المقصود منه الاهتمام به؛ ولكن النفي تخلية والإثبات تحلية.

ومن المتقرر في اللغة وعند العقلاء أن التخلية تسبق التحلية.

يُخلي القلب ثم بعد ذلك يبدأ يضع فيه، حتىٰ إن هٰذه قاعدة عند العقلاء، أو أنت بتغير مثلا تغير ما في هٰذا المسجد من فرش لازم أنك تخليه تخرجه خارجا، بعد ذلك تأتي بالفرش الجديد.

وقلوب المشركين كان فيها من الزيغ في الاعتقاد ومن التشبيه ومن نفي الصفات ما فيها، فالله جل وعلا نفىٰ حتىٰ يخلي القلب من اعتقاد المماثلة أو اعتقاد المشابهة ويكون القلب سالما من براثن التشبيه والتمثيل، ثم أثبت حتىٰ يكون القلب أيضًا سالمًا من التعطيل:

ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١] كما يقول العلماء رد علىٰ المشبهة.

وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ] رد علىٰ المعطلة.

فإذن قولهم: أن هٰذا لأجل الاهتمام، نقول: هٰذا لغويا ليس بصحيح بل اللغة فيها أن البداءة بالشيء يدل علىٰ الاهتمام به، هٰذا صحيح؛ لكن الاهتمام هنا لا يعني أن الاهتمام لأجل أن يكون النفي مفصلا؛ لأن التجسيم أو التشبيه هٰذا شر ويجب أن ينفىٰ، وأما تقديم النفي علىٰ الإثبات فهو لأجل أن التخلية تسبق التحلية.

نكمل إن شاء الله في قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾[الرَّحمٰن] وما بعده من آيات الإثبات إن شاء الله تعالىٰ في المرة القادمة.

[الأسئلة]

سؤال (): يقول: إذا جتمعت صفة العفو من العزة أو القدرة علىٰ إنفاذ العقوبة لأحد البشر هل يصح أن نقول: إنه عفو كمال؟

الجواب: نعم يصح، تقول: هٰذا عفو كمال بالنسبة للبشر، فالبشر لهم صفات كمال بقدر ما عندهم، بقدر ذاتهم، بقدر ما يناسبهم، وليست صفة كمال تساوي صفة الله جل وعلا، فما بين الصفة والصفة كما بين الذات والذات.

سؤال (): ما حكم القسم بصفة المكر والغضب؟

الجواب: لا يجوز القسم بهٰذه الصفات؛ لأن هٰذه لا تثبت مطلقة، بل تثبت مقيدة.

سؤال (): هل يصح لعن الكافر المعين؟ وهل ورد ذلك عن السلف الصالح؟

الجواب: لعن الكافر المعيَّن من جهة الجواز جائز، الكافر المعين بعينه جائز، والأفضل تركه هٰذا هو

التَّحقيق في هٰذه المسألة، والعلماء لهم كلام طويل في لعن المعين، ففي لعن المعين من المسلمين خلاف، والأكثرون - أكثر أهل السنة والجماعة - علىٰ أنه لا يجوز لعن المعين من أهل الفسوق وإن كان يشمله اللعن في العموم، مثلا يشمله اللعن في قوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٨﴾[هود]؛ لكن لا تخصُّ ظالمًا بلعنة، الفاسق يشمله اللعن؛ ولكن لا تخص فاسقا بلعنة، يعني فاسقا معينا.

ولهٰذا لما أتي بأحد الصحابة يدعىٰ بعبد الله حمار وقد كان يكثر شرب الخمر فلما أتي به في المرة الثالثة أو الرابعة قال أحد الصحابة: (لعنه الله ما أكثر ما يؤتىٰ به) فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا تقولوا هٰذا فإنه يحب الله ورسوله»، فدل علىٰ أن المسلم مرتكب الكبيرة لا يُلعن بعينه، لا يُخص بعينه، ومن السلف من أجاز لعن المعين من الفسقة ولعن المعين من أهل البدع، وهٰذا ليس الذي عليه عامة أهل السنة.

وسئل الإمام أحمد فقيل له: ألا تلعن هؤلاء؛ يعني رؤوس أهل البدع؟ فقال: متىٰ رأيت أباك يلعن أحدا؟ — يقول لأحد أبنائه أظنه عبد الله — وهٰذا في الفاسق المعين من المسلمين، والكافر كذلك فيه خلاف، والخلاف أيضا جاري بين أهل السنة هل يلعن الكافر المعين أم يترك لعنه؟

لكن ترك لعنه لا لأجل عدم استحقاقه، ولكن لأجل تنزيه اللسان عن اللعن، وإلا فإن الكافر يستحق اللعن، ولكن تنزيه اللسان عن اللعن؛ لأن النبي ﷺ إنما لعن كفرة بأعيانهم، هٰذا لما حصل لهم من إيذائهم للمسلمين وقتلهم ما حصل كما هو معروف أن النبي ﷺ لعن أقواما ثم عند كثير من أهل العلم أن هٰذا منسوخ نسخه قول الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ ۝١٢٨ ﴾ [آل عمران]، فاللعن للكافر من حيث الجواز جائز لكن المسلم ليس بلعان ولا طعان وليس بفاحش ولا بذيء.

......

تلعن المبتدعة، نعم، لكن المعين لا تلعنه، من لعنه فذلك - يعني فيه من قال بلعنه -، لعن المعين من أهل البعد بشرط كونه مبتدعا، ووصف البدعة إنما هو لأهل العلم إذا كان عالما يعلم أن هٰذا مبتدع وحكم عليه بالبدعة يجوز له ذلك عند بعض السلف.

أما أن يترك الأمر كل من شاء وصف فلانا بالبدعة ثم لعنه، هٰذا لا شك ليس من طريقة أهل السنة والجماعة البتة.

......

ما في بأس اللعنة بدون تعيين.

......

إبليس أهل العلم في لعنه علىٰ قولين:

منهم من يقول لا يجوز لعنه.

ومنهم من يقول يجوز مع الكراهة، يعني الأفضل ترك اللعن.

ومن أجاز اللعن مع الكراهة استدل بقول الله جل وعلا في إبليس: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا

مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾[النساء].

والمانعون من لعنه استدلوا بحديث صحيح في الباب فيه أن النبي ﷺ قال: «لا تلعنوا الشيطان فإنه يتعاظم» إذا لعن، ينتفخ، يعني أنه صار شيء بحيث أنه يلعن.. والأولىٰ أن لا يلعن، يعني هٰذا هو الأولىٰ أنه يترك لعنه.

سؤال (): هل جميع ما نفىٰ الله عن نفسه أثبت كمال ضده في مواطن أخر؟ أو يكون ذلك أي كمال الضد من اللوازم وإن لم يذكر في مواطن آخر؟

الجواب: هٰذا يحتمل، يحتمل هٰذا ويحتمل هٰذا، يعني بعض ما نفي أثبت كمال ضده مع في الآية أو في موضع آخر ومنه ما يعرف باللازم.

نكتفي بهٰذا القدر.

نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم من عباده المتقين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.